بتاريخ 26 رجب 1446
المواسعة و المضايقة

الجلسة 62

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمْ
الْحَمْدُ للّه رَبِّ الْعَالَمِينْ وَصَلَى الله عَلَىٰ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ الطَّاهِرِين

دِراسة الآية الأخيرة حول وسوسة المعصوم الشِّرِّيرَة

لقد ترقَّينا فرسَّخنا أنّ الشّيطان لا يُطيق التّدخُّل في حريمهم الفكريّ و الإراديّ أبداً حيث قد صرَّح تعالى عن لسان إبليس: «إلا عبادک منهم المخلَصين». فلا يُمكنه عقلاً أن يَنفُذَ فيَمُسَّ هذه المنزلة الشّامخة إطلاقاً، ففي ضوئه، قد فسَّرنا غموضَ آيات «إلقاءات الشّيطان» و «نزغه» تماماً.

و قد حان الأوان كي نُعالج الآيةَ المتشابهة التّالية: «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ»[1] حيث قد ترجَم المعظَمُ «الهَمَزات» بمعنى «الوَساوِس الشّيطانيّة حينما يَحضُرون لدى المعصوم» و ذلک نظراً لتوضيحات كتب اللّغة:

1. بأنّ «الهَمَزت» جمعُ «هَمزَة» و همزة الشّيطان أي غَمزُه و بعثُه نحوَ الآثام.

2. و قد فسَّرها صحاح اللّغة أيضاً قائلاً: همزَه أي دَفعه و ضربه.

3. و قد نقَّحه الشّيخ الطّبرسيّ أيضاً قائلاً: «الهمزة شدة الدفع و منه الهمزة للحرف الذي يخرج من أقصى الحلق باعتماد شديد و دفع و همزة الشيطان دفعه بالإغواء إلى المعاصي و قوس همزي: شديدة الدفع للسّهم.»[2] و الدّاعم لهذه الدَّفعات الشّديدة هو أنّ الآية المجيدة قد جَمعت لفظة «الشّياطين» هاتفةً بأنّهم أجمع قد هاجَموا المعصومَ من كلّ حَدَب و صَوب.

بينما قد فشِلَ هؤلاء المترجمون أن يَعُوا مغزى الآية الكريمة، فإنّ صاحب الميزان قد فسَّرها بطَرافة و ظَرافة قائلاً:

«قوله تعالى: «وَ قُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» ..... و في تفسير القميّ، عنه (ع): «أنّه ما يقع في قلبك (فهو) من وسوسة الشّياطين» و في الآيتَين (الله تعالى قد) أمرَه صلّى الله عليه و آله أن يستعيذ بربه من إغواء الشّياطين و من أن يحضُروه «و فيه إيهام إلى أن ما ابتُلي به المشركون (فهو) من الشّرك و التّكذيب من همزات الشّياطين و إحاطتهم بهم بالحضور (لا استحواذِهم على نفس النّبيّ الأكرم و إرادته).»[3]

فعُصارة الأجوبة الصّائبة ستَتجلّى بالنّقاط التّالية:

1. يَبدو أنّ التّفسير المزبور منتسِبٌ إلى عليّ بن إبراهيم القميّ لا إلى نُطق المعصوم، و لهذا نُشاهد ضمن بعض نسخ الكتاب أنّه لم تَرد لفظة «عليه السّلام».

2. لم يُستظَهر من الآية ـ أبداً ـ أنّ «الهَمَزات» قد انصبَّت على تفكير المعصوم و إرادته، بل حينما الشّياطين كانوا يَحضُرون لدى محادَثات النّبيّ الأكرم فكانوا يَهمِزون الأشخاص الغاوين كالمشركين و المنافقين، فلمّا كانوا يُكذّبون النّبيّ فقد أصبحوا أجندةَ «الشّياطين» و مصاديقها، فنظراً لأعدادِهم، قد جَمع تعالى لفظة «الشّياطين» ممّا يُدلّل على استِتباع هؤلاء لأمر الشّيطان في سبيل صدّ النّاس و امتناعهم و تكذيبهم و استهزائهم و إيذائهم و... تجاه أهداف النّبيّ و مَتاعبه.[4]

3. أساساً إنّ الآية قد أُنزِلَت لأجل تعليم النّاس تجاه إغوائات الشّيطان و وَساوِسه حتّى يَمحوا آثار السّيّئات و الموانع ـ وفقاً لما استَورَدته روايات الفريقَين الآتية ـ.

4. بل الآية التي تَليها ستَشهَد لتفسيرنا أيضاً: «حَتّٰى إِذٰا جٰاءَ أَحَدَهُمُ اَلْمَوْتُ قٰالَ رَبِّ اِرْجِعُونِ * لَعَلِّي أَعْمَلُ صٰالِحاً فِيمٰا تَرَكْتُ كَلاّٰ إِنَّهٰا كَلِمَةٌ هُوَ قٰائِلُهٰا وَ مِنْ وَرٰائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ.»[5] فإنّ ضمير «أَحَدَهُمُ» يَنعطِف على «شياطين الإنس» و هم المشركون و أضرابُهم بالتّحديد، فبالتّالي لم يتمّ استظهار «وقوع الهَمزة على قلب النّبي» بتاتاً.

5. و الوَثيقة الأخرى الدّاعمة لمتَّجَهنا هي روايات كتاب الدّر المنثور ناقلاً:: «قوله تعالى: «وَ قُلْ رَبِ» الآيةَ... أخرج ابن أبى شيبة ..... عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال: كان رسول الله صلى الله عليه و سلم «يُعلّمنا» كلمات نقولُهنّ عند النّوم من الفزع: بسم الله أعوذ بكلمات الله التّامّة من غضبه و عقابه و شرّ عباده و مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ و أَنْ يَحْضُرُونِ.» و (أيضاً قد) أخرج ابن أبى حاتم عن ابن زيد في قوله: «وَ أَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ» قال: يحضرون في شي من أمري. و أخرج أحمد عن خالد بن الوليد أنه قال: يا رسول الله إنّي أجد وحشة قال: إذا أخذت مضجَعَك فقل: أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه و عقابه و شر عباده و مِنْ هَمَزاتِ الشَّياطِينِ و أَنْ يَحْضُرُونِ فإنّه لا يضرك و بالحَري أن لا يضرَّك».[6]

6. و الشّاهد التّالي هي بيانات صاحب الكشّاف قائلاً: «الهمز: النَّخس. و الهَمزات: جمع المَرَّة منه. و منه: مهماز الرّائض. و المعنى أنّ الشياطين «يحثون النّاس على المعاصي و يغرونهم عليها» (لا نفس النّبيّ الباطنيّة) كما تَهمِز الرّاضة (و الرّاعي) الدّوابَّ حثاً لها على المشي. و نحو الهمز «الأزّ» في قوله تعالى: «تَؤُزُّهُمْ أَزًّا» أمر بالتعوّذ من نخساتهم بلفظ المبتهل إلى ربه، المكرّر لندائه، و بالتعوذ من أن يحضروه أصلا و يحوموا حوله. و عن ابن عباس رضى اللّه عنهما: عند تلاوة القرآن. و عن عكرمة: عند النزع.»[7]

7. و المؤيِّد التّالي مقالة فخر الرّازيّ قائلاً: «اعلم أنه سبحانه لما أدب رسوله بقوله: «ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ»[8] أتبعه بما به يقوى على ذلك و هو الاستعاذة باللَّه من أمرين: أحدهما: من همزات الشياطين، و الهمزات جمع الهمزة، و هو الدفع و التحريك الشديد، و هو كالهز و الأز، و منه مهماز الرائض، و همزاته هو كيده بالوسوسة، و يكون ذلك منه في الرسول بوجهين: أحدهما: بالوسوسة (بينما قد رفضناه للتَّوّ) و الآخر بأن يبعث أعداءه على إيذائه (و هو الذي قد تقبَّلناه فقط) و كذلك القول في المؤمنين، لأن الشيطان يكيدهم بهذين الوجهين، و معلوم أن من ينقطع إلى اللَّه تعالى و يسأله أن يعيذه من الشيطان».[9]

Ø فرغمَ أنّ فخر الرّازيّ ضمن تفسيرته المذكورة احتَمل انتساب الوسوسة إلى النّبيّ الأكرم إلا أنّه قد أجاد ضمن آية النّزغ، حيث قد أزالَ «شبهة الوسوسة» عن المعصوم قائلاً: «الأوّل: أنّ حاصل هذا الكلام أنه تعالى قال له: إن حصل في قلبك من الشيطان نزغ (لا أنّه قد تحقَّق) كما أنه تعالى قال: لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ [الزمر: 65] و لم يدل ذلك على أنه أشرك. و قال: لَوْ كانَ فِيهِما آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتا [الأنبياء: 22] و لم يدل ذلك على أنه حصل فيهما آلهة. الثاني (و هو أفضَل من سابقه): هَب أنا سلّمنا أن الشيطان يوسوس للرسول عليه السلام، إلا أن هذا لا يقدح في عصمته، إنما القادح في عصمته لو قبل الرسول وسوسته، و الآية لا تدل على ذلك (قبوله). عن الشعبي قال: «قال رسول اللَّه صَلَّى اللّه عليه و سلّم: «ما من إنسان إلا و معه شيطان» قالوا: و أنت يا رسول اللَّه قال: و أنا، و لكنّه أُسلَم بعَون اللَّه، فلقد أتاني فأخذت بحلقه، و لولا دعوة سليمان لأصبح في المسجد طريحاً» و هذا كالدلالة على أن الشيطان يوسوس إلى الرسول صَلَّى اللّه عليه و سلّم، و قال تعالى: «وَ ما أَرْسَلْنا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَ لا نَبِيٍّ إِلَّا

إذا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ»[10] الثالث: هب أنا سلمنا أن الشيطان يوسوس، و أنه عليه الصلاة و السلام يقبل أثر وسوسته، إلا أنا نخص هذه الحالة بترك الأفضل و الأولى.»[11]

و نلاحظ عليه بأنّ الوسواس الخنّاس لا يَنفُذ في ساحة المعصوم أبداً حتّى تصِل النّوبة إلى قبوله، و أمّا الرّوايات المذكورة فلم يَستحضِرها الشّيعة ضمن كتبهم أساساً، سوى ما استَورده صاحب البرهان ناقلاً:

«فِي كِتَابِ عِلَلِ الشَّرَائِعِ أَبِي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنِ يَحْيَى الْعَطَّارُ قَالَ حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ يَحْيَى قَالَ: حَدَّثَنَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ عَنْ عَبَّاسٍ عَنْ أَسْبَاطٍ عَنْ أَبِي عَبْدِ الرَّحْمَنِ قَالَ: قُلْتُ لِأَبِي عَبْدِ اللَّهِ إِنِّي رُبَّمَا حَزِنْتُ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ، وَ رُبَّمَا فَرِحْتُ فَلَا أَعْرِفُ فِي أَهْلٍ وَ لَا مَالٍ وَ لَا وَلَدٍ، فَقَالَ: إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَ مَعَهُ مَلَكٌ وَ شَيْطَانٌ، فَإِذَا كَانَ فَرَحُهُ كَانَ دُنُوَّ الْمَلَكِ مِنْهُ وَ إِذَا كَانَ حَزَنَهُ كَانَ دُنُوَّ الشَّيْطَانِ مِنْهُ، وَ ذَلِكَ قَوْلُ اللَّهِ تَبَارَكَ وَ تَعَالَى: الشَّيْطانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَ يَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشاءِ وَ اللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَ فَضْلًا وَ اللَّهُ واسِعٌ عَلِيمٌ.»[12]

و نُجيب بأنّا لو سلَّمنا أساس صدورها لَتوجَّب تطبيقها على غير المعصوم نظراً للانصراف المحتوم، و لهذا إنّ آية «الشّيطان يعدكم الفقر و يأمركم بالفحشاء» تَهتِف جهاراً بأنّ خطابها إلى سائر العباد ـ دون المعصوم ـ نظراً للمحكَمات السّالفة نظير: «لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ إِلاّٰ عِبٰادَكَ مِنْهُمُ اَلْمُخْلَصِينَ»[13] و «بُيُوتٍ أَذِنَ اَللّٰهُ أَنْ تُرْفَعَ وَ يُذْكَرَ فِيهَا اِسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهٰا بِالْغُدُوِّ وَ اَلْآصٰالِ * رِجٰالٌ لاٰ تُلْهِيهِمْ تِجٰارَةٌ وَ لاٰ بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اَللّٰهِ وَ إِقٰامِ اَلصَّلاٰةِ وَ إِيتٰاءِ اَلزَّكٰاةِ....»[14]

---

[1] سورة المؤمنون الآية97-98.

[2] مجمع البيان في تفسير القرآن، ج7، ص: 185

[3] الميزان في تفسير القرآن، ج15، ص: 65

[4] و تشييداً لتفسير الأستاذ الجليل، لاحظ الآية التّالية: «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيٰاطِينَ اَلْإِنْسِ وَ اَلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ اَلْقَوْلِ غُرُوراً. (سورة الأنعام الآية112.). و كذا: «وَ كَذٰلِكَ جَعَلْنٰا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ» (سورة الفرقان الآية 31).

[5] سورة المؤمنون الآية التّالية: 99-100.

[6] الدر المنثور للسّيوطيّ، ج5 ص64.

[7] الكشّاف ج3 ص98

[8] سورة المؤمنون الآية 96.

[9] التفسير الكبير، ج23، ص: 292

[10] سورة الحج الآية 52.

[11] التفسير الكبير، ج15، ص: 436

[12] تفسير نور الثقلين، ج1، ص: 286

[13] سورة الحِجر الآية 39-40.

[14] سورة النّور الآية 36-37.